# موتيفة أكل لحم البشر في الحكاية الشعبية القطرية
# الغرف الأخرى أنموذجا

# The Cannibalism Motif in The Qatari Folk Tale

**نورة محمد فرج قاسم الخنجي***

**قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر-قطر**

**nourafaraj@qu.edu.qa**

| تاريخ الإرسال: | تاريخ القبول: | تاريخ النشر: |
|---|---|---|
| 2023-06-12 | 2023-10-10 | 2024-01-26 |

**ملخّص:** تمثل ظاهرة أكل لحم البشر (الكانيبالية) موتيفة متكررة في الحكايات الشعبية القطرية، بسبب إمكانياتها السردية التي تعتمد على جذب المتلقي من خلال إثارة مشاعر الخوف عنده، وضمن هذه الموتيفة ثمة ثلاثة عناصر أساسية هي: الآكل، والمأكول، والطابخ، لكن هناك عدة عناصر أخرى مرتبطة بها؛ كالآكل الغافل، وآكل الترصد، والوصمة، والواصم المجتمعي. مثلت هذه الموتيفة مركزية الحكايات أحيانًا، بينما حضرت أحيانًا أخرى على درجات أقل، كما أن هذه الموتيفة تأتي حدثًا أوسط إذ لا تبدأ به الحكاية ولا تنتهي به. وقد تقاطعت هذه الموتيفة مع نظائر لها في الثقافة الشعبية العربية من جهة، كما أن البحث فيها يكشف عن حضورها في الحكايات الشعبية العالمية من جهة أخرى. إن أكل لحم البشر قد ظهر في الحكايات الواقعية وفي العجائبية، أي إنه فعل أسند إلى البشر وإلى الجن على حد سواء، غير أن هذه الظاهرة تشترط أن تكون الأطراف جميعها بشرية، لذا فإن هذه الدراسة قد اقتصرت على الحكايات التي يكون الآكل والمأكول فيها بشريين، والحكايات موضوع البحث هي: حديد حديدوه، وسرور (بنسختين)، ولعيبة الصبر، وطويسة الصبر، ونصيف.

**كلمات مفتاحيّة:** أكل لحم البشر؛ سرد؛ حكاية شعبية؛ نقد ثقافي؛ نقد حديث؛ أدب قطري.

---

* المؤلف المرسل

**Abstract:** The phenomenon of cannibalism is a frequent motif in the Qatari folk tale, because of its narrative capabilities that are based on attracting the recipient by inducing feelings of fear in him, and within this motif there are three basic elements: the eater, the eater, and the cook, but there are several other elements. associated with it; Such as the inattentive eater, the stalker eater, the stigma, and the societal stigma. This motif represented the centrality of the tales sometimes, while it was present at other times to lower degrees, and this motif comes as a middle event as the tale does not begin or end with it. This motif intersected with its counterparts in Arab popular culture on the one hand, and research on it reveals its presence in international folk tales on the other. Eating human flesh has appeared in real and miraculous tales, that is, it is an act attributed to humans and the jinn alike, but this phenomenon requires that all parties be human, so this study has been limited to stories in which the eater and the eaten are human, The tales in question are: Hadid Hadiduh, Surur (in two copies), Laibah al-Sabr, Tuwaisa al-Sabr, and Nassif.

**Keywords:** Cannibalism ; Narration ; Folktale ; Cultural criticism ; Modern criticism ; Qatari literatur.

**توطئة:** تمثل موتيفة أكل لحم البشر Cannibalism عنصرًا مهمًا من عناصر الجذب في الحكاية الشعبية، لأنها تشتغل على إثارة مشاعر الخوف عند المتلقي، التي تدفع رغبته في مواصلة الاستماع/ القراءة، فهي تقوم على الجمع الملتبس بين المتضادين: النفور والانجذاب، وهذا الجمع هو ما يشكل قوة حضورها في النص السردي.

وعندما نتحدث عن ظاهرة أكل لحم البشر (الكانيبالية)، فإننا نشترط أن يكون طرفا العملية بشريين، أي يجب أن يكون الآكل بشريًا، وكذلك المأكول، حتى يمكننا أن نطلق عليها ظاهرة أكل البشر، وبذا فإننا نخرج الجن الذين يلتهمون الآدميين من هذا التصنيف، على الرغم من كثافة حضور هذا النوع أيضًا في الحكايات الشعبية، وكذلك نخرج الوحوش أو المخلوقات غير محددة الهيئة.

وعلى الرغم من أن ظاهرة أكل لحم البشر بصورتها العامة قد تبدو غائبةً، أو غريبة وغير مألوفة في الثقافة العربية، إلا أنا نجدها في نصوص مختلفة، فقد حضرت هذه الظاهرة في القرآن الكريم، لكن بصورتها المجازية التشبيهية، في قوله تعالى:

(أَيُحِبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأكُلَ لَحْمَ أخيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُموه)[1]، لكن بالمقابل نجد أن هذه الظاهرة قد وجدت بصورتها الحقيقة في عدد من المدونات العربية.

لقد أشار الجاحظ (ت 250 هـ) في كتابيه (البخلاء) و(الحيوان) إلى هذه الظاهرة، فهو يذكر أن بعض القبائل العربية قد وصمت بأكل لحم البشر، وقد هجيت به مرارًا، ففي كتابه (البخلاء) قال: "وتهجى أسد بأكل الكلاب، وبأكل لحوم الناس... كما تهجو بأكل الكلاب والناس وإن كان ذلك إنما كان من رجل واحد، ولعلك إذا أردت التحصيل تجده معذورًا"[2]. ويعدد الجاحظ القبائل التي هُجيت بذلك: "وتُهجى أسد وهذيل والعنبر وباهلة بأكل لحوم الناس"[3]، كما يذكر حادثة كانت سببًا في إلصاق هذا النبز بالقبيلة كاملة، فقد هُجيت "بذلك أسد جميعًا، بسبب رملة بنت قائد بن حبيب بن خالد بن نضلة، حين أكلها زوجها وأخوها أبو أرب، وقد زعموا أن ذاك إنما كان منهما من طريق الغيظ والغيرة"[4]. كذلك يتحدث الجاحظ عن تعيير ثوب بن شحمة بهذا العمل: "ولما عيّر ثوب بن شحمة بأكل الفتى لحم المرأة، إلى أن نزل هو من الجبل... فهجا ثوب بن شحمة بأكل لحوم امرأة، وكان ثوب هنا أكرم نفسًا عندهم من أن يطعم طعامًا خبيثًا، ولو مات عندهم جوعًا"[5]. وقد أشار الجاحظ في كتابه (الحيوان) إلى مقولة معروف الدبيري في أكل بعض القبائل للحوم الناس[6].

وفي كتاب (**محاضرات الأدباء**) للراغب الأصفهاني (ت 502 هـ) نجد ذكرًا لحادثة عن رجل ركب سفينة وركب في السفينة ذاتها يهودي كان قد احتضن سلة قديد، فاستولى عليها هذا الرجل، وأخذ يأكلها حتى لم يبق إلا عظيمات. فلما أرادوا النزول إلى البر، رأى اليهودي السلة فارغة فسأل عنها "فقيل: إن هذا الرجل أكل ما فيها. فولول، وقال أكلت أبي؛ فسئل عن ذلك، فقال: كان أبي أوصى أن يدفن ببيت المقدس، فلما مات قددناه ليسهل حمله، فأكله هذا"[7]، ونلاحظ أن هذه الحادثة تنتفي فيها قصدية الآكل، إذ لم يكن الرجل يعرف طبيعة اللحم ما أكله، كما أن من قدد اللحم البشر كان

يبغي غرضًا آخر، وهو سهولة النقل، فأكلُ لحم البشر قد وقع عن طريق الخطأ، لكنه تم أيضًا، أي حدث بالفعل حسب هذه المروية.

وفي (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت 626 هـ)، في مادة (وبار) نقرأ أخبارًا عن النسناس، إذ أسند إلى محمد بن إسحاق أنه قال عن وبار أنها أرض يسكنها النسناس، وهو مخلوق ظهر في اليمن، له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة، وله نصف جسد، ويقفز برجله قفزًا شديدًا ويعدو عدوًا سريعًا، ويذكر ياقوت الحموي حادثة نسبها إلى أهل اليمن، وهي أن قومًا خرجوا لصيد النسناس فرأوا ثلاثة من هذا المخلوق فأمسكوا بواحد وذبحوه، واختفى اثنان في الشجر، فقال الذي ذبحه إن هذا النسناس لسمين أحمر الدم، فتكلم أحد المخلوقين من وسط الشجر وسمع الرجال في الأسفل صوته، فتمكنوا من اكتشافه واصطياده، "فقال الذي ذبح الأول: والله ما أحسن الصمت هذا لو لم يتكلم ما عرفنا مكانه، فقال الثالث: فها أنا صامت لم أتكلم، فلما سمعوا صوته أخذوه وذبحوه وأكلوا لحومهم"[8]. كما يسرد ياقوت الحموي خبرًا آخر حول النسناس، إذ يروي عن رجل أصابه الفقر ولم يبق شيء عنده، فخرج إلى بني عمه بالشحر فأضافوه وأحسنوا إليه، ثم دعوه للخروج للصيد، وخرج معهم فلما صاروا في الصحراء وصلوا إلى غيضة عظيمة فأوقفوه في موضع منها ودخلوا يصطادون، "قال: فبينما أنا واقف إذ خرج من الغيضة شخص في صورة الإنسان له يد واحدة ورجل واحدة ونصف لحية وفرد عين وهو يقول: الغوث الغوث الطريق الطريق عافاك الله"[9]، ففزع الرجل ولم يدر أن هذا النسناس هو الصيد الذي كانوا يقصدونه، ولما جاوز النسناس الرجل قال الأول شعرًا، فلما ذهب جاء الرجال وسألوا صاحبهم عما جرى، فقال أنه لم ير ما يريدون صيده، ووصف لهم النسناس، فضحكوا وقالوا أنه أفلت صيدهم. فقال الرجل: "أتأكلون الناس؟ هذا إنسان ينطق ويقول الشعر! فقالوا: وهل أطعمناك منذ جئتنا

إلا من لحمه قديدًا وشواء؟ فقلت: ويحكم أيحل هذا؟ قالوا: نعم إن له كرشًا وهو يجتر فلهذا يحل لنا"[10].

في هذا النص، يجري الاختلاف على بشرية النسناس، وحول حرمة أكل لحمه من حلالها، والملاحظ أن الحكم ببشريته لا ينفي استحلال أكله، لكن الشعر من جهة أخرى هو ما يحكم بكونه إنسانًا، أي المتمم لإنسانيته الناقصة جسديًا، فالنسناس هنا مخلوق نصف بشري من ناحية التكوين الجسدي، لكن الراوي اعتبره بشريًا ما دام يقول الشعر، أما أصحابه فلم ينفوا ذلك، كما لم يعتبروا بشريته نافية لاستحلال أكله.

كما نجد هذه الظاهرة بشكلها الصريح غير الملتبس في نص سيري/ رحلي، وهو رحلة الطبيب عبد اللطيف البغدادي إلى مصر (ت 629 هـ)، إذ يذكر الطبيب عبد اللطيف البغدادي في مذكراته عن هذه الرحلة أنه قد عاين بنفسه عددًا من حوادث أكل لحم البشر أثناء الشدة المستنصرية، وقد تناول المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشوفسكي هذه المشاهدات، فقال عن البغدادي وكتابه: "أما الفصلان الأخيران فيقدمان وصفًا حيًا لا يخلو من الرهبة لأحداث 597 – 598 هـ = 1200 –1202 م التي اجتاح فيها مصر قحط هائل وباء مروع. وقد دفعته نزعته العلمية كطبيب وبحّاثة إلى الاحتفاظ بقوة ملاحظته ورباطة جأشه، فهو يصف لنا بهدوء وبدقة تامة الحالات الرهيبة لأكل لحوم البشر وكيف كانوا يختطفون الأطباء الذاهبين لعيادة مرضاهم وكيف أحرق المجرمون الذين ثبتت عليهم تهمة أكل الغير وكيف وجدت جثث هؤلاء المجرمين مأكولة في الصباح"[11].

ونلاحظ فيما أورده البغدادي أن معظم المأكولين كانوا أطفالًا، وأن السبب فيما حدث هو الجوع، فثمة قصدية تامة متحققة عند الآكل، وهذا النص يختلف عن النصوص السابقة، لأنه ينتمي إلى أدب الرحلات، وفيه يذكر حالات جرت معاينتها، وليست نصوصًا تخييلية أو تعتمد على السماع والنقل.

لقد سجل البغدادي حادثة جرت في رمضان إذ يقول: "ووجد في رمضان وبمصر رجل وقد جردت عظامه عن اللحم، فأكل وبقي قفصًا كما يفعل الطباخون بالغنم"[12]. وقد ذكر البغدادي أن الأمر كثيرًا ما كان مختصًا بالأطفال تحديدًا: "أكلوا صغار بني آدم، فكثيرًا ما يعثر عليهم ومعهم صغار مشويون أو مطبوخون، فيأمر صاحب الشرطة بإحراق الفاعل لذلك والآكل"[13]، وهنا يشير إلى مشاهدته الذاتية، لا إلى أخبار شفهية: "ورأيت صغيرًا مشويًا في قفة، وقد أحضر إلى دار الوالي ومعه رجل وامرأة يزعم الناس أنهما أبواه فأمر بإحراقهما"[14]، وكذلك تحدث عن حادثة رآها في السوق: "ولقد رأيت امرأة يسحبها الرعاع في السوق وقد ظفر معها بصغير مشوي تأكل منه، وأهل السوق ذاهلون عنها"[15]، كما ذكر حادثة أخرى كان شاهدًا عليها: "ورأيت قبل ذلك بيومين صبيًا نحو الرهاق مشويًا وقد أخذ به شابان أقرا بقتله وشيه وأكل بعضه"[16]، والملاحظ في الحوادث التي البغدادي أن الفاعلين كانوا متعددين ولم يكونوا مقصورين على جنس (رجل او امرأة) أو عمر معين.

إن أخبار الشدة المستنصرية تحضر في مدونات المقريزي (ت 845 هـ) أيضًا، ففي كتابه (إغاثة الأمة بكشف الغمة) يقول: "وتزايد الحال حتى اكل الناس بعضهم بعضً. وتحرز الناس، فكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها ومعهم سلب وحبال فيها كلاليب، فإذا مر بهم أحد ألقوها عليه، ونشلوه في أسرع وقت وشرحوا لحمه وأكلوه"[17]، كما يذكر حادثة أخرى: "وجاء الوزير يومًا على بغلته، فأكلتها العامة، فشنق طائفة منهم، فاجتمع عليهم النسا فأكلوهم" (المقريزي، 1996، ص99)، وفي كتابه الآخر (اتعاظ الخلفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) يذكر الحادثة نفسها لكنه يسند فعل الأكل إلى الناس جميعاً لا النساء فقط[18]، وفي فصل عن الغلاء في زمن السلطان العادل الأيوبي يقول: "ودخل فصل الربيع، فهب هواء أعقبه وباء وفناء، وعدم القوت حتى أكل الناس صغار بني آدم من الجوع، فكان الأب يأكل ابنه مشويًا ومطبوخًا،

والمرأة تأكل ولدها، فعوقب جماعة بسبب ذلك، ثم فشا الأمر وأعيا الحكام. فكان يوجد بين ثياب الرجل والمرأة كتف صغير أو فخذة أو شيء من لحمة، ويدخل بعضها إلى جاره، فيجدر القدر على النار، فينظرها حتى تتهيأ، فإذا هي لحم طفل، وأكثر ما يوجد ذلك في أكابر البيوت. ووجدت لحوم الأطفال بالأسواق والطرقات مع الرجال والنساء مختفية. وغرّق في دون شهرين ثلاثون امرأة بسبب ذلك. ثم تزايد الأمر حتى صار غذاء الكثير من الناس لحوم بني آدم بحيث ألفوه، وقل منعهم منه لعدم القوم من جميع الحبوب وسائر الخضروات"[19]، كما يذكر أيضًا عن امرأة كانت "تري جاراتها الحفر في أفخاذها، فقالت: أنا ممن خطفني أكلة الناس في الشدة، فأخذني إنسان، وكنت ذات جسم وسمن، فأدخلني بيتًا فيه سكاكين وآثار الدماء وزفرة الفتيل، فأضجعني على وجهي وربط في يدي ورجلي سلبًا إلى أوتاد حديد، عريانة، ثم شرّح من أفخاذي وأنا أستغيث ولا أحد يجيبني، ثم أضرم الفحم وأشوى من لحمي وأكل أكلًا كثيرًا، ثم سكر حتى وقع على جنبيه لا يعرف أين هو؛ فأخذت في الحركة إلى أن تخلى أحد الأوتاد وأعان الله على الخلاص"[20].

وقد أشار ابن إياس (ت 930 هـ) في كتابه (بدائع الزهور في وقائع الدهور) إلى حوادث الشدة المستنصرية كذلك، فقال: "واستمر هذا الغلاء سبع سنين متوالية، فأكلت الناس بعضهم بعضًا"[21]، ثم يقول: "ثم اشتد الأمر، حتى صار الرجل يأخذ ابن جاره ويذبحه ويأكله، ولا ينكر عليه ذلك بين الناس، ثم اشتد الأمر، حتى صار الناس إذا مروا في الطرقات، وقوي القوي على الضعيف، فيذبحه ويأكله جهارًا"[22]، كما يشير إلى حوادث الكلاليب التي ذكرها المقريزي سابقًا: "وصارت طائفة من العوام، يجلسون على السقائف، وبأيديهم حبال فيها كلاليب، فإذا مر بهم أحد من الناس، ألقوا عليه تلك الحبال، ونشلوه بالكلاليب في أسرع وقت، فإذا صار عندهم، ذبحوه في الحال وأكلوه بعظامه"[23].

ومع أن المقريزي وابن إياس لم يعاصرا هذه الأحداث، إلا أنها تتقاطع مع مشاهدات البغدادي في صورتها العامة، ويمكن القول إنها حالة مرتبطة بالمجاعات واشتداد الفقر، أي أنها حالة طارئة وليست مستمرة وثابتة كما عند الأقوام الذين يتصفون بهذه الممارسة، كما عند ابن بطوطة (ت779 هـ)، إذ يروي في رحلته عن جماعة من ذوي البشرة الغامقة قد وفدوا على السلطان منسى سليمان، وقد وصفهم ابن بطوطة بأنهم يأكلون بني آدم، "فأكرمهم السلطان وأعطاهم في الضيافة خادمة، فذبحوها وأكلوها، ولطخوا وجوههم وأيديهم بدمها، وأتوا السلطان شاكرين"[24].

ويذكر أمين معلوف هذه العبارة للمؤرخ راول دي كين عن أفعال جنود الحملات الصليبية في معرة النعمان: "وكان جماعتنا في المعرة يغلون وثنيين بالغين في القدور ويشكون الأولاد في سفافيد ويلتهمونهم مشويين"[25]، وهذا ما سيثبت صورتهم باعتبارهم آكلي لحم البشر: "ولن ينسى الأتراك قط تصرفات الغربيين تصرف أكلة لحوم البشر. ولسوف يوصف الفرنج بلا أدنى تحوير عبر أدبهم الملحمي بأنهم يأكلون لحوم البشر"[26]، كما يورد معلوف في السياق ذاته عبارة للمؤرخ ألبير دكس الذي شارك بنفسه في معركة معرة النعمان: "لم تكن جماعتنا لتأنف وحسب من أكل قتلى الأتراك والعرب، بل كانت تأكل الكلاب أيضًا)" [27]. وهنا يختلف السياق عن سياق الشدة المستنصرية، فأكل لحم البشر هنا جرى ضمن أفعال الحرب والكراهية المتولدة عنها، لا بسبب الغلاء والمجاعة.

إن أكل لحم البشر ليس أمرًا استثنائيًا في الحكايات أيضًا، ففي ألف ليلة وليلة، نجد في رحلات السندباد هذا الفعل كذلك، فقد وقع السندباد في قبضة آكل لحم البشر، الذي اختار رئيس المركب بسبب سمنته، فأخذه وشكه بالسيخ وشواه ثم التهمه أمام الجميع. [28]. وهذا التفصيل جزء من تفاصيل الفضاء الغرائبي المرعب الذي وجد السندباد نفسه فيه، حيث تمتزج المتناقضات والمتنافرات والأشياء النفيسة بالكائنات

المخيفة، عدا عن "وجود شعائر وعادات لم تكن تدور بخلد السندباد فيقشعر منها جلده ويشعر بالدوار تجاهها. فهناك قوم يتلذذون بأكل لحم الآدميين"[29]، وقد ظهر هذا الفعل "في مخطوطات القرون الوسطى، وإن كان أكل البشر صفة للمخلوقات الأسطورية، أو صفة ذم تستخدم لنقل هؤلاء المذمومين خارج الصفات البشرية كما جرى في تصوير التتار"[30].

وفي فترة زمنية أقرب، نقرأ في مذكرات الهولندية ماريا تير ميتلن التي أسرت في بلاد المغرب 1731 – 1743: "اجتزنا فترة غلاء يرثى لها، امتدت من سنة 1737م إلى يونيه 1738م، قضى خلالها 48 ألف نفر، بسبب اشتداد الجوع، وكان الأحياء يفترسون الأموات، بل أكلت الأمهات أبناءهن، ولم يتبق لا كلب ولا قط، الكل تم أكله"[31].

وفي كتاب (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) للكواكبي (ت 1320 هـ) نجد في فصل (الاستبداد والإنسان) إشارة إلى أن أكل لحم ابشر هو ظاهرة كونية التصقت بالإنسان بالبدائي: "عاش الإنسان دهرًا طويلًا يتلذذ بلحم الإنسان ويتلمظ بدمائه، إلى أن تمكن الحكماء في الصين ثم في الهند من إبطال أكل اللحم كليًا، سدًا للباب، كما هو دأبهم إلى الآن"[32]، ثم يذكر حالة تقديم القربان: "ثم جاءت الشرائع الدينية الأولى في غربي آسيا بتخصيص ما يؤكل من الإنسان بأسير الحرب، ثم بالقربان ينذر للمعبود، ويذبح على يد الكهان، ثم أبطل أكل لحم القربان، وجعل طعمة للنيران"[33].

بغض النظر عن درجة صدقية هذه الأخبار السابقة، وصعوبة الفصل فيها وتحديد كونها مبالغات أو تخيلات، فإن هذه الظاهرة موجودة في النصوص العربية، بمختلف أجناسها، وليست غائبة غيابًا عنها، وبعض هذه النصوص وإن لم يكن عربيًا، إلا أنه يتعلق بمحيط عربي.

لقد استفادت الحكاية الشعبية القطرية أيضًا من هذه الموتيفة في عدد من نصوصها، إذ إن كتاب (القصص الشعبي في قطر) الذي قام محمد طالب الدويك بجمع مادته الحكائية وتدوينها يكشف عن حضور قوي لهذه الموتيفة، لذا فإن هذه الدراسة تعمد إلى تحليل موتيفة أكل لحم البشر في هذه الحكايات من خلال الطرفين الرئيسيين: الآكل، والمأكول، شرط أن يكون الطرفان كلاهما من البشر، إذ تم استبعاد الحكايات التي يكون فيها الجن – وغيرهم من المخلوقات – أحد هذين الطرفين، ولكننا في هذه الحكايات نجد عنصرًا رئيسيًا ثالثًا هو الطابخ، وفيه تتمثل قصدية القتل بنية إطعام لحم البشر للآخرين. والحكايات موضوع الدراسة هي: حديد حديدوه، وسرور (بنسختين)، ولعيبة الصبر، وطويسة الصبر، ونصيف[34].

**الآكل الغافل:** إن آكل لحم البشر هو الطرف الأول في هذه الموتيفة، فالفعل الوحشي يقع عليه، سواء كان ذلك بعلمه/ اختياره، أو دون وعي منه، غير أن الغلبة في هذه الحكايات هي لحضور الآكل الغافل، الذي يجهل طبيعة اللحم الذي يتناوله، لتأتي لحظة انكشاف الحقيقة لاحقًا.

إن حكاية (سرور) هي حكاية الطفل الذي توفيت والدته ويعيش مع والده تحت اضطهاد وكراهية زوجة أبيه، وبذا فإن هذه الحكاية تقوم على صيغة "شائعة في الحكايات القطرية، حيث توجد أسرة تتكون من طفل يتيم (ذكر أو أنثى) يعيش مع والده، زوجة أبيه... وأعتقد أن هذا النمط من الاستهلال ينطلق من صيغة تسمح بتطور الأحداث لبناء الحكاية، فضلًا عن كونه ينطلق من صيغة تتعلق بالفعل لسلبي للوجود، لا سيما التركيز على حالة اليتم"[35].

في حكاية (سرور) نجد ثلاث فئات قد أكلت لحمًا بشريًا، يجمع بين هذه الفئات أنها تناولت هذا اللحم دون علم منها، أي على غفلة، هذه الفئات هي:

1- الأب.

2- الخطّار (الضيوف).

3- أهل زوجة الاب.

اثنتان من هذه الفئات لها صلات قرابة باللحم المأكول، فالأب تناول ابنه، أي أنها قرابة من الدرجة الأولى، وأهل زوجته تناولوا لحمها، غير أننا لا نعلم درجة القرابة التي تربطهم بها، كما أننا لا نعلم عددهم وما إن كانوا رجالًا أم نساء. فيما ضيوف الأب لا تربطهم صلة قرابة بسرور الذي أكلوه، وقد كانوا ذكورًا غير أن عددهم غير معلن أيضًا.

لن يعلم الضيوف حسب الحكاية بطبيعة ما أكلوه، بينما سيعلم الأب وأهل زوجته بأنهم أكلوا لحم أبنائهم، وقد جرى في الحالتين إطعامهم هذا اللحم انتقامًا.

في حكاية (سرور) تنتفي قصدية أكل لحم البشر من جهة الآكل، بينما هي مؤكدة من جهة من قام بالقتل/ الطبخ، فالآكل هنا يجهل ما يأكله، وقد حصل ذلك مع ضيوف الأب، الذين انتهت الحكاية دون أن تخبرنا بأن كانوا قد علموا حقيقة ما أكلوه أم لا، أما أهل زوجة الأب فقد جهلوا في البداية اللحم الذي يأكلونه، حتى رأوا البقايا البشرية، وبذا تحققت لحظة المعرفة التي يمكن اعتبارها لحظة كشف جزئي، وإحدى لحظات ذروة الرعب في الحكاية.

في هذه الحكاية نجد متوالية، وهي أن الآكل الغافل يتناول لحم قرابته انتقامًا، وهذا الانتقام ليس هو من يجريه، بل طرف آخر، وينتقل هذا الآكل بعد انقضاء فعل الأكل من حالة الجهل بالمأكول إلى العلم به.

إن العلم بهذا لا يتم إلا من خلال إخبار عجائبي، ففي حالة سرور كان صوت أمه الميتة الآتي من المقبرة هو الذي أعلن عمّا جرى له، أي أنه صوت يأتي من عالم الأموات، الذي يرد كثيرًا في الحكايات الفنتازية ويتمتع بما وراء المعرفة الظاهرة"[36]، فيما قطة متكلمة هي التي تعلم أن هذا اللحم هو لحم فطوم، أي أن الكشف عن الحقيقة

لا يحدث إلا من خلال (صوت) له طبيعة عجائبية. إن هذا الصوت في الحالتين هو صوت أنثوي (الأم – القطة) تتمتع بمعرفة ما ورائية تتناسب مع قدرتها على إسماع صوتها، أي تحويله إلى صوت يفهمه البشر. إن الصوتين قادران أيضًا على تقديم أدلة على معرفتهما، فالأم تعلن أن رأس سرور وأرجله قد جرى دفنهما تحت مربط الخيل، أما القطة فتقدم قرط فطوم دليلًا لأهلها.

من جهة أخرى، فإن صوت الأم القادم من المقبرة بكل حمولته المخيفة يتناسب مع الطبيعة المرعبة للفعل الذي أقدمت عليه زوجة الأب بطبخ الولد وتقديمه إلى ضيوف والده، فالكائنات ما وراء الطبيعية كالأشباح والأرواح "يبدو أن مقاصدها – كما تبدو من تأثيراتها موجهة نحو التهديد والتهويم والسكن والإيذاء"[37]، فالأم بهذا مثلت تهديدًا وانتقامًا معاكسًا لزوجة الأب، وهي بهذا لم تفارق الواقع/ الحياة وما زالت قادرة على التفاعل معها بشكل ما، وهكذا "تتعلق الطيفية – إلى حد كبير – بالماضي الذي يجيء في الحاضر"[38].

إن الأم لم تستطع أن تمارس حمايتها لولدها، ولكنها استطاعت الانتقام له، وهذا المجال المحدود في العمل يرجع إلى طبيعتها، "ويرجع جانب من الاضطراب الذي تقوم به هذه الأشباح إلى طبيعتها البينية، أو الحدية، أو المزدوجة، فهي أشبه بحالة وسطى ما بين الحياة والموت، وهي تسكن حيزًا مكانيًا يقع بين مكانين (الداخل والخارج)، أو زمانين (الحاضر والماضي)، أو، أو حالتين انفعاليتين، أو حالتين اجتماعيتين (الاستقرار والاضطراب)، أو الحضور (الأمن والخوف). ومن خلال وضعها الخاص هذا، تستطيع الأشباح أن تطرح التساؤلات، أو تدفع الآخرين إلى طرحها"[39].

يمثل الضيوف أيضًا حالة أكل البشر الهامشية، فهم سيبقون على جهلهم بطبيعة ما أكلوه، غير أن حضورهم إلى جوار الأب كآكلين للحم ابنه، يشبه حالة (تفرق الدم

بين القبائل)، وهي حالة ستنطبق أيضًا على أكل لحم فطوم، فعدد الآكلين يتجاوز الثلاثة، إذ والد سرور هو واحد ومع ضيوفه، الذي لا يحدد النص عددهم، لكنه يشير إليهم كجماعة، أي أن عددهم ثلاثة أو أكثر، كما يشير النص إلى أهل فطوم أيضًا كجماعة، ولو كانوا واحدًا أو اثنين لحددهم بهذا العدد صراحة، فالعدد هنا يصل إلى سبعة أشخاص أو أكثر، لكنه لا يقل عن ثلاثة. يمكن تفسير توسّع عدد الآكلين قياسًا إلى عدد الطابخين المعلن والمحدد بدقة، إلى أن حجم الانتقام قد يكون متسعًا ومتمددًا بما يتناسب مع الرغبة في التشفي. كما إن إشراك الضيوف في هذا الفعل إشارة إلى تمدده في المجتمع من غير وعي أفراده.

من جهة أخرى، إن علاقة الأبوة قد أورثت في هذه الحالة رغبة في الانتقام جرى تحقيقها، من هنا، نرى الآكل، بعد أن مر من طور الجهل إلى طور العلم بما أكل قد تحول إلى طابخ مترصد، بينما علاقة الأهل المبهمة أورثت حزنًا لمقتل ابنتهم.

إن الأب يفشل هنا في ما يمكن اعتباره اختبار لحم ودم للتعرف على ابنه، فبينما تمتلك الأم الميتة معرفة ما ورائية، لا يميز الأب الحي المخلوق الذي أكله، أي لا يميز كونه ليس لحمًا حيوانيًا أولًا، ثم لا يميز القرابة التي تربطه به ثانيًا.

وفي حكايات الأخوين غريم، حكايتان تتضمنان حالة الأب الذي يأكل لحم ابنه دون علم، الحكاية الأولى هي (حكاية شجرة العرعر)، وهي مشابهة في بدايتها لحكاية (بياض الثلج)، وفيها تقطع زوجة الأب رأس الابن، ثم تعيد وضع رأسه على جسده، ثم تصفعه أخته/ ابنتها، ويسقط رأسه على الأرض، فتظن الفتاة أنها هي من قتلته، فتتظاهر الأم أمام ابنتها بأنها تسعى إلى التغطية عليها، فتطبخ الولد بالخل، وبدموع أخته التي ستعوض الملح، ثم تقوم الأم بتقديم هذا اللحم إلى الأب، ولا يتعرف الرجل على لحم ابنه، فيأكله ويرمي بعظامه تحت الطاولة "والتفت إلى زوجته قائلًا: ما أطيب هذا الطعام يا امرأة، اسكبي لي المزيد منه! وكلما أكل أكثر، طلب أكثر فأكثر"[40].

إن موتيفة أكل لحم البشر هنا تتشابه مع حكاية سرور في المسار المتضمن لزوجة الأب الشريرة التي تقوم بطهو ابن زوجها وتقديمه لوالده، ومن جهة آخر تتشابه في نموذج فشل الأب في التعرف على لحم ابنه.

أما الحكاية الثانية في حكايات الأخوين غريم فهي حكاية ذات عنوان صريح (حكاية آكل لحم البشر)، وفيها يسمي النص المرأة بآكلة لحم البشر، لكن الزوج هو من أكل ابنه على غفلة، بتدبير زوجته التي كانت تلحق بالفتاة والشاب حتى تأكلهما انتقامًا، لكنها قدمت ولدها عن طريق الخطأ إلى والده ليفترسه: "دخلت الحجرة آكلة لحم البشر، وبسبب العتمة تلمست الرؤوس، وأخذت لزوجها الرأس الذي لا يلبس تاجًا، فافترسه فورًا[41]، وهكذا، تحضر في هذه الحكاية موتيفة الأب الذي يأكل لحم ابنه غافلًا.

أما في حكاية (حديد حديدوه) نجد الساحرة تخضع لاختبار مماثل، أي اختبار التعرف على لحم الابن، وتفشل فيه كذلك، فالحكاية تنتهي بأكل الساحرة ابنتها دون أن تعلم، وهذا لا يحدث إلا بعد المرور بسلسلة من الأحداث والمناوشات بينها وبين حديد حديدوه، تنتهي دومًا بتفوق الأخيرة على الساحرة، أي تفوق الحيلة البشرية على ذهنية الساحرة، و"تعطيل قدرات القوى الشريرة"[42]، فيأتي على هذا إطعامها لحم ابنتها علامة الانتصار النهائية، أي أنها عملية نزع لكل معرفة سحرية عنها وإثبات تجهيلها، أو إثبات عدم جدوى هذه المعرفة، فالساحرة هنا على الرغم من الادعاء بامتلاكها قدرات خارقة، إلا أن هذه القدرات جرى التشكيك فيها على امتداد الحكاية، ثم تبين بطلانها التام حينما لم تتعرف الساحرة على لحم أقرب المقربين لها، أي ابنتها.

إن غفلة الساحرة هنا ليست غفلة آكل لحم بشري، فهي كانت تعد العدة منذ فترات زمنية – لا يحددها النص – لأكل حديد حديدوه، لكن غفلتها هنا هي في تمييز أن هذا اللحم هو لحم ابنتها، وهذا الفشل يترافق مع فشل آخر، حينما لا تميز صوت

حديد حديدوه التي ارتدت ثياب ابنتها، فالثياب قد دلتها على الشخص المفترض (ابنتها) واطمأنت لهذا الدليل/ العلامة، ولم يساورها الشك ولم تستطع التفريق بين صوت البنتين، وكذلك لم تتعرف على وجه ابنتها أو هيئتها الجسدية، فالثياب كافية لتعمية الهوية تمامًا، فكأن نشوة الظفر المزعوم أفقدتها ثلاثًا من حواسها: السمع والبصر التذوق.

أما في حكاية (نصيف)، فإن الأكل هنا سابق على التكون البشري، فالمرأة قد أكلت الطفل وهو في طور كونه جنينًا، وهي تجهل – على الرغم من العلامات الإخبارية– أنه سيتحول إلى كائن بشري، أي أن أكلها البشري جرى من معرفتها الآنية، وبدافع الجوع، لا لدافع إكرام الضيف أي الوليمة أو الانتقام.

**آكل الترصد:** في حكاية (لعيبة الصبر) يظهر المطوع (معلم الكتّاب) آكل لحم البشر، فالطفلة تسمع صراخًا صادرًا من بيته، وتختبئ لتراه يشوي ولدًا ثم يأكله.

لا تقدم الحكاية الكثير عن شخصية هذا الرجل غير أن التعريف به على أنه (مطوع) يمنحه حصانة دينية عُرفية، باعتباره محفظ القرآن للأطفال من الجنسين، ومعلمهم القراءة والكتابة، فهو الموكول بالعلم في زمن ما قبل المدرسة، بالتالي فإنه يحمل نظرة توقير وتبجيل من قبل الناس، لعلمه أولًا، ولأنه المسؤول عن أبناء الحي ثانيًا.

لكن، تتولى الحكاية نزع هذه الحصانة الدينية التي منحت له اجتماعيًا، إذ يسند إليه أكثر الأفعال إرعابًا في المخيلة الطفولية.

من جهة أخرى تنقل هذا المشهد الذي تراه الطفلة بعينها الصورة المرعبة المتخيلة لتتحول إلى واقع مرئي. نلاحظ أن الطفلة ستظل تراقب ما يحدث زمنًا طويلًا، إذ إن زمن المراقبة هنا هو زمن الشوي، وزمن الأكل.

لا تقدم الحكاية تفسيرًا لما حدث، كما لا تقدم مآلًا لما فعل المطوع، إذ لا عقوبة له في الحكاية كما أن هذا الاكتشاف يظل محدودًا بمعرفة الطفلة وحدها.

إن التحذير الرمزي الذي يحمله هذا الجزء من الحكاية، هو أن الغطاء الديني قد يستخدم لأكثر الأفعال وحشية، كما أنه يحمل التحذير التقليدي من إهمال الأطفال وتركهم للآخرين.

إن صورة (المطوع) تتداخل في المخيلة الشعبية القطرية مع صورة الساحر او المشعوذ، ولعل هذا ما يفسّر إسناد لحم البشر إليه في الحكاية، إذ توفر المخيلة الشعبية فكرة التهام الأطفال أو تقديمهم كقرابين إلى الشيطان لإتمام عملية السحر، وعلى الرغم من أن النص لا يشير إلى سحرية/ شيطانية المطوع، إلا أننا يمكن أن نعتبر الهيئة التي قُدّم عليها المطوع متطورة/ مأخوذة عن صورة الساحر، وبذا فإن الحكاية تخلص بصورة (ساحر تائب).

بذا، فإن المطوع هنا يساوي الساحرة في حكاية حديدوه، والساحر/ة هي حالة نمطية لالتهام البشر، لقد كانت الساحرة تسعى إلى أكل حديد حديدوه، إلى أن انقلب سحرها عليها بفعل الحيلة، فهي في الأصل كانت آكلًا مترصدًا، قبل أن تتحول في النهاية إلى آكل الغفلة.

لطالما كانت الإشارة إلى الساحرات في الحكايات الشعبية باعتبارها عنصرًا ينتمي إلى ما فوق الطبيعي في الخيال[43]، لذا تقدم حكاية (هنزل وغريتل) الساحرة التي تأكل لحم البشر أيضًا، حين تسعى إلى طبخ الفتى والتهامه "يا غريتل، هيا كوني خفيفة واجلبي ماء. سواء كان هنزل سمينًا أم نحيلًا، سأذبحه غدًا واطبخه"[44]، لكن ما يحدث هو أن الفتى وأخته ينتصران عليها بالحيلة، تحت ما يسميه فلاديمير بروب بالشيطان الغبي[45].

**الوصمة:** لقد أشار الجاحظ كما ورد سابقًا إلى أن عددًا من القبائل العربية هجيت بسبب أكل بعض أفرادها للحم البشر (اقتباس) هنا يلاحظ أن الفعل مسند إلى رجال، وأن الوصمة تشمل القبيلة.

في حكايتي (طويسة الصبر) و(لعيبة الصبر) نجد أن وصمة أكل لحم البشر تسند إلى النساء، وتحديدًا في أكل لحم أبنائهن، وهو أمر لا يحدث فعليًا في الحكايتين، لكن المرأة توصم به، وتصبر على هذه الوصمة، حتى تكافأ على صبرها بعودة أبنائها.

في حكاية (طويسة الصبر) ترتكب المرأة فعل الإيذاء تجاه رجل فقير، يترافق هذا الفعل مع مشاعر الازدراء والتكبر لعلو مرتبتها الاجتماعية، فتعاقب مرتين، المرأة الأولى بالدودة التي تأكل كل ما عند المرأة حتى تفقرها، والمرأة الثانية حين تخضع لاختبار اختيار الحياة أو الموت مقابل حياة أو موت أطفالها.

في الحكاية يخضعها الخادم الفقير لهذا الاختبار مرتين، حين ينتهز وحدتها وانشغال الناس بالحريق فيخيرها بين أن يأكلها أو يأكل ابنها، فتختار أن يتركها ويأكل ابنها، وفي المرة الثانية حين تبقى وحيدة يخيرها الخادم الفقير بأن يأكلها أو يأكل ابنتها، فتختار أن يأكل ابنتها، وفي الحالتين حين يرجع الناس يجدون المرأة ملوثة بالدم، فيصدرون حكمًا عليها بأنها قد قتلت أطفالها وأكلتهم.

لا تخبرنا الحكاية من أين جاء الخادم بالدم الذي لطخها به، لكنها تكشف لاحقًا أن الطفلين لم يموتا، وإنما قد عاشا وعادا حافظين للقرآن، أي أن الخادم الفقير قد أحسن تربيتهما.

لقد انفرد الخادم الفقير بالمرأة وهي في ضعفها، أي لحظة الوحدة، حين لا تستطيع الاستنجاد بأحد، وهذا يشي بصبره لحين انتهاز اللحظة المناسبة ليُجري عليها انتقامه.

أما قبول المرأة ورضاها بأن يأكل طفليها بدلًا عنها، فيمكن تفسيره على أحد وجهين:

الأول: أن هذا القبول يحمل رمزية حب الحياة ولو تعلق الأمر بالأنانية والتفريط بالأبناء مقابل إنقاذ حياة الشخص ذاته، وبالتالي فإن الوصمة عقاب ستدفع مقابله من صبرها.

الثاني: أن المرأة بحكم معرفتها بالخادم الفقير تعلم أنه لن يؤذيهما، وأن انتقامه موجه إليها هي، فتختار الوصمة والصبر على فراقهما.

إن الحكاية تخبر بصبر المرأة على وصمة أكل أبنائها، لكن المرأة لا تعلن أن من قام بهذا الفعل هو الخادم الفقير، وهذا صمت يدعو للتساؤل عن سبب الاستسلام لما حل بها، كما لا تخبر الحكاية ما إن كانت المرأة تعلم بأن طفليها على قيد الحياة أم لا، فلحظة الذروة، أي أكل لحم الطفلين، لحظتان جرى تعميتهما في الحكاية، إذ لا نعلم ما رأت المرأة، وما فعل الخادم الفقير، سوى تلطيخها بدم مجهول الهوية، ولا نعلم حقيقة ما حدث حتى نصل نهاية الحكاية.

تعتمد الحكاية على تسديد فاتورة العقاب بالصبر، الذي يجازى به الإنسان خيرًا، ولو كان مرتكب الذنب الأول.

أما في حكاية (لعيبة الصبر) فإن البنت لا ترتكب أي خطأ تعاقب عليه، وإنما يكون الخطأ هو اطلاعها صدفة على فعلة المطوع الذي أكل أحد الأولاد الذين يعلّمهم، فكان عقاب هذه المعرفة المحرمة أن تجازى بمثلها، فالوصمة جاءت ثمنًا للتلصص.

لقد كانت العقوبة الأولى هي فقدانها القدرة على الكلام، إلا الرد على المطوع حين يسألها عمّا رأت، لكنها لم تتمكن من الدفاع عن نفسها حين وصمت ثلاث مرات بأكل أطفالها، وظل لسانها معقودًا.

تخبرنا الحكاية أن المطوع قد كان يختطف الأولاد مرة تلو الأخرى، يترافق ذلك مع تلطيخ أمهم بالدم كي يصمها أهلها بفعله هو، فهو يمارس عليها عملًا انتقاميًا متعمدًا.

إن العقاب هنا يسير في ثلاثة اتجاهات:

1-إفقادها القدرة على النطق، وهي قدرة تحتاجها للدفاع عن نفسها أمام أهل زوجها.

2-وصمها بأنها أكلت أطفالها.

3-فقدانها أطفالها وحرمانها من رؤيتهم ومعرفة ما حل بهم.

إن الحكاية لا تقول بأن الأم قد ارتكبت ذنبًا تجاه إنسان بما يستدعي العقوبة، ولكنها ستخبر بالصبر على ما حل بها، فتجازى لا بعودة أطفالها وحسب، بل وبحفظهم للقرآن، وهذا لا يحدث إلا بعد تحول المطوع، وعودته إلى طبيعته البشرية كمحفّظ للقرآن، وتخلصه من صفته/ عمله أي أكل لحم البشر. فكأن الصبر الذي صبرته أحدث انقلابًا لا في مصيرها وحسب، وإنما في وضع المطوع، فالصبر وحده بدّل الحال إلى أحسن منه.

**الواصم المجتمعي:** في حكايتي (طويسة الصبر) و(لعيبة الصبر)، يجري الانتقام من الأنثى بإلصاق صورة أكل لحم أطفالها بها، وهو تدمير للسمعة يفترض أن يكون قاتلًا، ولكن في حكاية (طويسة الصبر) يتولى المجتمع إيقاع الصفة عليها، ونقلها إلى الزوج، الصفة التي تتحول هنا إلى خبر تقريري، أي لا تشكيك فيه، ثم يتكرر الحدث ثلاث مرات، إلى أن يطلقها زوجها بعد الأكلة المزعومة الثانية.

أما في حكاية (لعيبة الصبر) فإن الأهل يتولون أمر البحث عن الولد في المرة الأولى، ولما رأوها مغطاة بالدم قرروا أنها من أكلته، وتكرر حدوث ذلك ثلاث مرات، أي ثلاث أكلات، ليشيروا في النهاية على زوجها بألا ينجب منها مجددًا.

إن الزوج في الحالتين لا يفارق الزوجة من ذاته، وإنما بعد ضغط مجتمعي، فهو يواصل إنجاب الأبناء من زوجته حتى يصدر المجتمع حكمه بمفارقتها، إما بتركها أو بزواجه من أخرى. وبذا فإن المرأة تجابه بحالة ضغط ثلاثية: خسارة الأبناء المجهول

مصيرهم، وخسارة الزوج، وخسارة المجتمع، وهكذا فإن الصبر لا يتم تمامه إلا بالصبر على هذه الجهات الثلاث.

حسب الحكايتين، لا يوقع المجتمع عقوبة القتل على المرأة، على الرغم شناعة الجرم، ويمكن تفسير ذلك بأن القتل سيتنافى مع تحقيق فكرة الصبر، فالصبر يحتاج إلى ألا تموت المرأة، وإنما أن تظل صابرة على معاناتها، لتكسب النهاية السعيدة.

الملاحظ هو أن في الحكايات كلها ليس ثمة امرأة قد أكلت أطفالها، وإنما الرجل في غفلة منه. كما أن المرأة لم تأكل بشرًا إلا في الحكايات ذات السمة الخرافية، أي حكاية الساحرة، وحكاية نصيف.

**المأكول:** في هذه الحكايات من تم التهامهم هم أطفال، باستثناء حكاية (حديد حديدوه) الذي لا يحدد عمر بنت الساحرة أو عمر حديد حديدوه.

إن استهداف الأطفال بالأكل يمكننا أن نجده في حكاية الأميرة النائمة نسخة الكاتب الإيطالي جيامباتيستا باسيلي، حين كانت زوجة الأمير تخطط لطبخ توأم الأميرة النائمة (طفل وطفلة) وإطعامهم لوالدهم الذي هو الأمير[46].

في هذه الحكايات يمكننا أخذ ثلاث ملاحظات حول المأكولين:

الأولى: أنهم مختزلين في كونهم (ولدًا) أو (بنتًا)، من دون أية تفاصيل تتعلق بهويتهم البشرية، أو الإنسانية، باستثناء حكاية (سرور) التي حددت وضع الطفل الاجتماعي، أي وفاة والدته وزواج والده، وعمره 8 سنوات، وبذا فإن الحكايات تنزع أي صفات مخصصة عن هؤلاء الأطفال.

الثانية: أن مشهد التهامهم يتم اختزاله في جملة واحدة، من غير أية تفاصيل، لا بكيفية القتل، ولا بكيفية الطبخ أو الالتهام، ويمكن تفسير ذلك بأن الغايات من هذه القصص لم تكن إرعابية، بل أميل إلى الوعظية في معظمها.

الثالثة: وهي الهوية الجندرية للأطفال المأكولين، إذ إن معظم الأطفال كانوا ذكورًا، كما يوضح الجدول التالي:

| الحكاية | عدد الأطفال المأكولين | الهوية الجندرية | |
|---|---|---|---|
| | | ذكر | أنثى |
| سرور | 1 | / | |
| حديد حديدوه | 1 | | / |
| نصيف | 1 | / | |
| طويسة الصبر | 2 | / | / |
| لعيبة الصبر | 3 | / | |

تكشف الحكايات أيضًا عن أن ردة الفعل على مقتل الطفل الذكر تختلف عن البالغة الأنثى، ففي حكاية (سرور) يمكن تفسير ذلك بأن قرابة الأب بطفله محددة في النص، بينما درجة قرابة الأهل بفطوم أبقيت مبهمة. ويمكن تفسير ذلك بطبيعة الذهنية العربية التقليدية التي تسند قيمة أكبر إلى المولود الذكر، مما يشعر بخسارة أكبر بالتالي عند فقدانه.

أما في حكايات الأخوين غريم فثمة حكاية عنوانها (العريس المجرم)، حين يقدم رجل إلى ابنة الطحان لخطبتها، لكنها لا تستلطفه، وحين تدخل بيته تحذرها الطيور وتطلب منها العودة، لكنها تدخل فتجد الغرف خالية، حتى تصل القبو، فترى فيه امرأة عجوز، تحذرها قائلة: "انظري إلى هذا القدر الكبير الذي سأرفعه على النار لأغلي فيه الماء، عندما تصبحين في قبضتهم سيقطعونك إربًا من دون شفقة ويطبخونك ويأكلونك، فهم من أكلة لحوم البشر"[47]، ثم يدخل الرجل مع جماعة وهم سكارى، وكانوا يقتلون فتاة ثم يطبخونها، ويرشون عليها الملح ثم يأكلونها.

أما في حكاية (نصيف) فالملاحظ أن الأمر لا يتعلق بلحم بشري، وإنما بعجينة بشرية مجهولة المادة، وتجهيل الكينونة هذا يتشابه مع تجهيل الهوية التكوينية في حالة النسناس الذي أورده ياقوت الحموي. إن وجه الشبه بين النسناس وبين نصيف هو القطع الجسدي، فالنسناس هو شق إنسان شقًا طوليًا، فيما نصيف هو نصف إنسان مشقوق عرضيًا، وهذا البتر – في الحالتين – يؤثر على الهيئة الخارجية حين ينقصها ويحولها إلى هيئة غرائبية، لكنه لا ينتقص من القدرات الذهنية ولا القيم الأخلاقية.

**الطابخ:** إن طبخ البشر بقصد أن يأكله الآخرون لا الطابخ حدث مرتين في حكاية (سرور)، في المرة الأولى كان فعلًا قامت به زوجة الأب حين طبخت الولد، أما في المرة الثانية فكان ردة فعل حين طبخ الأب زوجته، وهو رد فعل انتقامي، حيث لا يكتفي بسلب الحياة من زوجته، بل يتجاوز الأمر إلى الانتقام من أهلها.

في المرتين، يتم الاحتفاظ بالأشلاء البشرية، حيث إن هذا الاحتفاظ يجهز للحظة كشف سردية موجهة نحو الشخصيات، إذ تخفي الزوجة الرأس والمصارين، من دون سبب ظاهر، ليشكل الاكتشاف اللاحق للأب لهذه الأشلاء لحظة رعب، تقود إلى فعل الانتقام، وهنا، سيبقى الأب أيضًا على أشلاء زوجته، لكن مع سبق الإصرار كي يعرف أهلها حقيقة ما أكلوه.

إن زوجة الأب هنا هي "المرأة الضد"[48]، وقد أخلت بدور المرأة التي تخدم الضيوف، وحضورهم المقدس حسب الثقافة العربية، فدور المرأة "لا يقتصر فقط على إعداد الطعام الشهي اللذيذ للضيوف وإنما في معرفة قدرهم وتقديم ما يليق بمقامهم من الطعام، بدون تبذير ولا إسراف ولكن بدون تقصير في حقهم أو إبطاء في إعداد الأكل أو تقديمه نيئًا أو محروقًا"[49].

هنا لا يكون أكل اللحم نيئًا، وكذلك في حكاية (حديد حديدوه)، بل إن الفتاة في الحكاية الأخيرة تتساوى مع الساحرة في الفعل، فكلتاهما طابختان.

في حكاية (سرور) وحكاية (حديد حديدوه) عملية الالتهام يسبقها طبخ الجسد البشري، والمرأة في الحكايتين لا تخطط لالتهام ما تطبخه، وإنما تخطط كي تطعمه لآخر، فزوجة أب سرور تخطط لإطعامه لوالده، بينما ابنة الساحرة في (حديد حديدوه) كانت ستطبخ حديد حديدوه بطلب من والدتها، لكن في صورة نمطية من (انقلاب السحر على الساحر) تطبخ حديد حديدوه ابنة الساحرة، وبذا فإنها تتساوى معها أخلاقيًا، وإن قدمتها الحكاية في صورة المنتصر.

إن من تقوم بالطبخ في هاتين القصتين امرأة، وفي حكاية (سرور) ستلقى زوجة الأب المصير نفسه الذي لقيته زوجة الأب في حكاية الأميرة النائمة، أي أن تموت طبخًا، وهكذا يصبح الأمير هو الطابخ انتقامًا.

إن المرأة الطابخة في الحكايتين لا تأكل مما تطبخ، وهي إما لدرء الخطأ عن نفسها كما في حالة زوجة الأب سرور، (في رواية أخرى ستطبخه من دون تفسير سردي) وإنما فقط الغيرة/ الكراهية المجانية التي تسند إلى زوجة الأب دومًا، أو أن المرأة تطبخ أخرى انتقامًا كما في حالة حديد حديدوه التي طبخت ابنة الساحرة انتقامًا من والدتها التي كانت تسعى إلى إلحاق المصير نفسه بها، فالمرأة حين تطبخ البشر في هذه الحكايات لا تأكلهم، والاستثناء هو الساحرة، فطبيعتها المختلفة تقبل إسناد شرور الأعمال إليها.

وبذا فإن الحكايات تقدم صورة الطابخ غيلة والطابخ المنتقم، ويظهر في الصورة الأخيرة والد سرور الذي طبخ زوجته انتقامًا منها، وهي الحالة الوحيدة التي طبخ فيها الرجل بشرًا.

**القتل:** إن القتل في حكاية سرور فعل يسبق فعل الطبخ، فالقاتل يقوم بفعلته كي يطبخ ضحيته، ولا يغليها في القدر حية، والقتل لا يتوقف هنا عند كونه فعلًا وحشيًا ومرفوضًا

دينيًا وأخلاقيًا، لكن الضحية هي طفل، بكل ما يستدعيه ذلك عند المتلقي من مشاعر التعاطف معه، والإمعان في كراهية المرأة القاتلة.

أما المرة الثانية، فهي حين يقتل الأب زوجته، لغاية طبخها أيضًا، ويمكن القول إن الحكاية تعلن بهذا أن القتل سلسلة إن بدأت فإنها لا تنتهي، نتيجة مشاعر القهر التي يولدها القتل، أي الجزاء من جنس العمل، لكنها أيضًا تقول بسلسلة لا نهائية من القتل والانتقام.

إن أكل لحم البشر عمومًا ليست بالظاهرة المنتشرة، لكن القاص في سرده للحكايات قد يعمد إلى التطرف في بناء سردياته من أجل جذب المتلقي، وقد يستخدم ما ليس من طبيعة بيئته: "نجد القاص يضطر فنيًا إلى ذكر ظواهر غريبة عن بيئته ليجوّد صنعته. كيف إذن يمكن أن تدلنا الصعاب على الطابع المحلي وهي تحت إلحاح الصنعة تفزع إلى ما هو ليس من البيئة. إن ما ليس في البيئة يخلقه الخيال، وقد يضطر إلى الارتكاز على بعض ما يرى ليصف ما يتخيل"[(50)]، ولذا، إن كان القتل في حد ذاته مرفوضًا، فإن أكل لحم البشر هو إمعان في مشاعر الغيلة والكراهية، كما هو إمعان لتشويه صورة القاتل، كما أن هذه الندرة في الحضور على أرض الواقع، تخلق رغبة مضادة في الاقتراب من هذه الممارسة، باعتبارها حالة غرائبية متطرفة، وهذه الندرة قد تصل حد الغياب التام في المجتمع، وهي أقرب إلى الإخبار عما هو غير موجود أو مدرك فعليًا، أي لم يشهده أحد عيانًا ليروي ما رآه.

**خاتمة:** لقد حضرت ظاهرة أكل لحم البشر (الكانيبالية) في الثقافة العربية عبر مدونات إخبارية وأخرى رحلية، كما نجدها موتيفة متكررة في الحكاية الشعبية القطرية، بسبب إمكانياتها السردية التي تقوم على جذب المتلقي من خلال إثارة مشاعر الخوف عنده، وهذه القيمة الفنية هي التي شكلت أهمية حضورها في المخيال الشعبي، وضمن هذه الموتيفة ثمة ثلاثة عناصر أساسية هي: الآكل، والمأكول، الذي يجب أن يكونا بشريين،

والطابخ، الذي يقوم بفعل القتل بنية إطعام القتيل لبشر آخرين، لكن هناك أيضًا عدة عناصر أخرى مرتبطة بها؛ كالآكل الغافل، وآكل الترصد، والوصمة، والواصم المجتمعي. وقد مثلت هذه الموتيفة مركزية الحكايات أحيانًا، بينما حضرت أحيانًا أخرى على درجات أقل، كما أن هذه الموتيفة تأتي حدثًا أوسط إذ لا تبدأ به الحكاية ولا تنتهي به. وقد تقاطعت هذه الموتيفة مع نظائر لها في الثقافة الشعبية العربية من جهة، كما أن البحث فيها يكشف عن حضورها في الحكايات الشعبية العالمية من جهة أخرى، والحكايات موضوع البحث هي: حديد حديدوه، وسرور (بنسختين)، ولعيبة الصبر، وطويسة الصبر، ونصيف. وقد وجد هذا البحث أن أكل لحم لحم البشر ليس نيئًا في هذه الحكايات، كما أنه حدث أوسط، بمعنى أن الحكاية لا تبدأ به ولا تنتهي، وقد كانت هذه الموتيفة تحضر لغايات إرعابية – إمتاعية من جهة، ولغايات وعظية من جهة أخرى، إذا حملت بحمولات أخلاقية غير مباشرة.

**المراجع:**

1-القرآن الكريم.

2-إبراهيم، نبيلة، (د. ت). **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**. القاهرة: دار نهضة مصر.

3-ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد، (1983). **بدائع الزهور في وقائع الدهور**. تح: محمد مصطفى. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

4-بروب، فلاديمير، (1996). **مورفولجيا القصة**. تر: عبد الكريم حسن وسميرة بن عمو. دمشق: شراع للدراسات والنشر والتوزيع.

5-ابن بطوطة، (1987). **رحلة ابن بطوطة تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**. تح: محمد عبد المنعم العريان. بيروت: دار إحياء العلوم.

6-البغدادي، عبد اللطيف، (1998). **رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر أو كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط2

7-تودوروف، تزفتان، (1993). **مدخل إلى الأدب العجائبي**. تر: الصديق بو علام. الرباط: دار الكلام.

8-تير ميتلن، ماريا، **اثنتا عشرة سنة من الاستعباد: رحلة أسيرة هولندية في بلاد المغرب 1731-1743**، تر: بو شعيب الساوري، منشورات المتوسط، ميلانو، 2018.

9-الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (د. ت). **البخلاء**. تح: طه الحاجري. القاهرة: دار المعارف.

10-الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1965). **الحيوان**، تح: عبد السلام هارون. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر.

11-الحسن، غسان، (1988). **الحكاية الخرافية في ضفتي الأردن**. دمشق: دار الجليل.

12-حسين، كمال الدين، (2000). **دراسات في الأدب الشعبي**، تر: محمد معتصم. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

13-الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، (2002). **معجم البلدان**. تح: عبد الله بن يحيى السريحي. أبو ظبي: منشورات المجمع الثقافي.

14-الخنجي، نورة محمد فرج، القبح في الرواية العربية المعاصرة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، 2009.

15-خورشيد، فاروق، (1991). **عالم الأدب الشعبي العجيب**، القاهرة: دار الشروق.

16-دون مؤلف، (1979). **ألف ليلة وليلة**. بيروت: المكتبة الثقافية.

17-الدويك، محمد طالب سلمان، (1984). **القصص الشعبي في قطر**. د. م: مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية.

18-الراغب الأصفهاني، (1902). **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**. تح: عمر الطباع. القاهرة: مطبعة الهلال.

19-المالكي، خليفة السيد محمد صالح، (2002). **قصص وحكايات شعبية**. الدوحة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث.

20-أبو شهاب، رامي، (2015). **بنية الحكاية الشعبية القطرية: النموذج والاستقبال**. الدوحة: وزارة الثقافة والفنون والتراث.

21-الصويان، سعد العبد الله، (2010). **الصحراء العربية: ثقافتها وشعرها عبر العصور قراءة أنثروبولوجية**. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

22-عبد الحميد، شاكر، (2009). **الخيال: من الكهف إلى الواقع الافتراضي**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

23-عبد الحميد، شاكر، (2012). **الغرابة: المفهوم وتجلياته في الأدب**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

24-الأخوان غريم، (2016). **حكايات الأخوين غريم**، تر: نبيل الحفار. بغداد: دار المدى للإعلام والثقافة والفنون.

25-فرج، نورة محمد، (2020). **مزاج دافنشي**، بغداد: دار العالي.

26-القلماوي، سهير، (2015). **الأدب الشعبي بين المحلية والعالمية**. مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد 100 يناير- ديسمبر 2015.

27-كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليانوفيتس، (1987). **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**. تر: صلاح الدين عثمان هاشم. تونس: دار الغرب الإسلامي.

28-الكواكبي، عبد الرحمن، (2011). **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، الإسكندرية: دار الكتاب المصري.

29-كيليطو، عبد الفتاح، (2006). **الأدب والغرابة: دراسات بنيوية في الأدب العربي**. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

30-معلوف، أمين، (1998). **الحروب الصليبية كما رآها العرب**. تر: عفيف دمشقية. بيروت: دار الفارابي.

31-المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (1996). **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**. تح: محمد حلمي محمد أحمد. القاهرة: وزارة الأوقاف.

32-المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (2007). **إغاثة الأمة بكشف الغمة**. تح: كرم حلمي فرحات. القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

33-النصير، ياسين، (1995). **المساحة المختفية: قراءات في الحكاية الشعبية**. بيروت: المركز الثقافي العربي.

**الملحق:**

**حديد حديدوه:** "كان في واحدة ساحرة وعندها بنت، وهذه الساحرة تبغي تأكل بنت ثانية اسمها حديدوه، كان بيتها من الحديد، وسبب عمل بيتها من الحديد أن الينانوه يخافون من كل شيء حديد، وكانت تأتي الساحرة برع (خارج) البيت وتصوت: يا حديد حديدوه، تروحين النخل؟ فترد عليها: لا أنا رحت النخيل من قبل. ثم ذهبت الساحرة، فقامت حديد حديدوه وسبقت الساحرة إلى النخل، وجاءت عند النخلة الكبيرة وقالت لها: يا نخلة أبوي إنزلي، انزلي، فنزلت النخلة وركبت عليها حديد حديدوه، وقالت لها: يا نخلة أبوي طلعي طلعي.

وتالي جاءت الساحرة تلقط رطب، فقامت حديد حديدوه تقط البلح الخايس (التالف) على الساحرة، وتأخذ الزين وتحطه في الجفير (الوعاء) عندها، والساحرة من

تحت تقول: عفية عليكم يا عصافيري. وبعد أن شحنت (ملأت) جفيرها بالرطب الخايس راحت، فنزلت حديد حديدوه وذهبت إلى البيت، ولما جاءت الساحرة في اليوم الثاني صوتت (نادت) عليها: يا حديد حديدوه تروحين نلقط بطيخ؟ فقالت لها: أنا رحت لقطت بطيخ، وأمس قصيت (كذبت) عليك وقطيت عليك رطب خايس وأنت تقولين، عفية عليكم يا عصافيري. فقالت لها الساحرة: أخ لو أدري كان صدتك، ولما ذهبت الساحرة، سبقتها حديد حديدوه إلى البطيخ، وعينت لها بطيخة كبيرة وقالت لها: يا بطيخة أبوي انشرخي شرخين، وحين انشقت البطيخة نصفين دشت حديد حديدوه في بطن البطيخة وقالت لها: انصكي (اقفلي) يا بطيخة. فانصكت البطيخة إلا أن أذن حديد حديدوه بقيت خارج البطيخة، ولما جاءت الساحرة تلقط البطيخ، شافت (رأت) البطيخة الكبيرة وشافت الأذن، فقامت تزخ (تمسك) الأذن وتقول: حزن بزن حتى البطيخة لها أذن، وكررت هذه العملية عدة مرات وذهبت، ثم طلعت حديد حديدوه وشلت البطيخ على ظهرها وعادت إلى البيت.

وفي اليوم الثاني جاءت الساحرة وقالت لها: حديد حديدوه تروحين نلقط حطب. فقالت لها: سبقتك ولقطت حطب، فأمس أنا داخل البطيخة وأنت تقولين: حزن بزن حتى البطيخة لها أذن. أخ لو كنت أدري كان شلتك أنت وبطيختك. فقالت حديد حديدوه: أنت ما تقدرين عليّ، وذهبت الساحرة تلقط الحطب فسبقتها حديد حديدوه، وحزمت حزمة كبيرة من الحطب ودخلت في داخلها. جاءت الساحرة ورأت الحزمة الكبيرة فقالت: ليش أتعب والقط حطب، هذه حزمة بارزة، فشلتها على ظهرها وراحت، ولما شافت حديد حديدوه ذلك بغت تطلع فأحست بها الساحرة وجودتها (امسكتها) وودتها (أخذتها) البيت وحطتها في الجفير، وخيطت عليها، فقالت حق بنتها: شبي الضو، وأنا بجيب زيادة حطب. راحت الساحرة فاستغلت حديد حديدوه الفرصة وقامت تغني غناء، فقالت لها بنت الساحرة: يا زين مغناك يا حديد حديدوه. فقالت لها نسمي أكثر وأنا بغني

أحسن إلى أن بطلت لها الجفير وخرجت حديد حديدوه، فقالت لها بنت الساحرة: أنا أبغي أن أغني مثلك، فقالت لها: انزيم البسي ثيابي وادخلي الجفير واصك عليك وبعد غني، فأدخلتها الجفير وصكت عليها، وقامت تغني. فأخذتها حديد حديدوه وغلتها (قطتها ورمتها) في الضو (النار) وجاءت الأم وقالت لحديد وحديدوه التي تلبس ثياب بنتها: وش سويتي بحديد حديدوه؟ فقالت: غليتها في الضو. ويوم استوت وصارت مشوي، وضعتها على السفرة، انتهينا من حديد حديدوه. ولما قطت السفرة صوتت عليها وقالت لها: أنت أكلت بنتك وهربت إلى بيتها. فانجنت الساحرة وقامت تغني بدون وعي. ورحنا عنهم وجينا حتى حاجة ما عطونا".

**سرور**: كان من زمان، بيت فيه ريال وولده الصغير سرور، عايشين مع أم سرور، الأم الحليوة الي تحب ريلها وولدها.

قدرة ونصيب تموت الأم، وبقي سرور يتميا مع أبيه، تزوج الابو من ذيك المرأة الي الله لا يراويكم (يريكم) إياها، كلبة ميدعة (مسعورة).

عسى ما يقول سرور (والله) إلا قالت (عليك لعنة الله)، لكنها الساحرة مع الابو، دهنة على هريسة (ناعمة). ولين طلع الابو سوت في سرور المناكر، إلا روح شيل يونية (كيس) العيش، هاك انقل الحصاة ودها هناك، كادته مكدة (متعبته).

ذاك اليوم، جاء الابو وقال لها: والله يا امرأة أنا الليلة عازم ربعي (جماعتي) على عشاء. وهناك خروف صغير، خلي الصبيان (الخدم) يذبحونه واطبخيه. قالت: إن شاء الله، وبقيت تطالع سرور وتخزره بعينها (ترمقه) ونيتها موبصا فيه (ليست صافية).

غافلت الصبي، وذبحته، وقطعته وطبخت عليه العشاء وأخذت مصارينه وراسه وحطتهم تحت مربط الخيل. ويوم جاء المغرب تفقد الرجل ولده وقال: يا امرأة وين

سرور؟ قالت: والله ما أدري به، كني شفت في يده الفخ عند الصبح الهقوتي (اعتقد) أنه رايح يحبل (يصيد).

طرش (ارسل) الابو عبدهم المقبرة يدور سرور. وقام العبد ينادي: يا عم سرور، يا عم سرور، إلا ذاك الصوت يرد عليه، وكان صوت أم سرور الميتة: (ياذا المنادي شركتني في صلاتي، سرور ذبحته مرة أبوه، وعشت به خطار أبوه، ومويلاته ورويلاته تحت مربط خيل أبوه).

وقف شعر رأس العبد عندما سمع هذا الكلام وعود يركض حق عمه، وقال له: والله يا عمي، القصة كيت كيت (كذا) تنافضت عيون الريال وراح يحفر تحت الخيل إلا أكيه (هذه) بقايا سرور. وأخذ المرأة من حرة في جوفه وذبحها وطرشها حق أهلها مطبوخة. وقال لهم: هذا خروف كلوه، وانتقم منها شر انتقام.

**سرور 1:** كان ياما كان في قديم الزمان، رجل يعيش مع ابنو وزوجته، وفي يوم من الأيام مرضت الأم مرضا شديدا، ثم ماتت وكان عمر ابنها سرور ثماني سنوات، تزوج الأب زوجة أخرى حتى تدير بيته، وتعتني بابنه. وكان سرور من عادته كل يوم يروح علشان (يحبل) أي يصيد بالفخ. وذات يوم جاء لهذا الرجل ضيوف، وهو لا يملك شيئا، فهو لا يملك عنزة واحدة ليذبحها لهم. المهم ذهب واستلف من أحد أصدقائه بعض الأموال واشترى خروفا وذبحه، وطبخته زوجته وصارت هذه الزوجة كل شوي تذوق الطعام أي الذبيحة إلى أن خلصت عليها ولم يبق منها شيء، فخافت الزوجة من زوجها خوفا شديدا واحتارت ماذا تقدم للضيوف.

جاء المغرب وإذا بسرور قادم من الصيد فأخذته زوجة الأبو وذبحته وأخذت كرعانة (رجليه ويديه) ودفنتهم تحت مربط الخيل، وقدمت الطعام للضيوف، فصار الابو والضيوف ينتظرون سرورا، ثم سأل الأب زوجته عن سرور، فقالت له: إلى الآن لم يأت، فأرسل الأب عبده وصار يبحث عنه في كل مكان إلى أن وصل إلى المقبرة

وهو يصرخ: سرور، سرور، إذا بهاتف ينادي عليه ويقول: ( لا بارك الله فيك، قطعت علي صلاتي، سرور ذبحته مرة أبوه، وعشت به خطار أبوه، ودفنت كرعانة تحت مربط خيل أبوه).

وكانت تقول هذا القول وهي تبكي، فأعاد العبد الصراخ على سرور، فإذا بهاتف يعيد ما يقول مة أخرى، فذهب العبد يركض إلى سيده وأخبره بما سمع، فذهب الأب إلى المقبرة وإذا به يسمع ما سمع العبد فجلس يبكي وعرف أن هذا الصوت هو صوت أم سرور، ذهب الأب إلى زوجته واسمها (فطوم) وذبحها وشواها وأرسلها على الحمار إلى بيت أهلها، ففرحوا بالذبيحة المرسلة لهم من زوج ابنتهم، وإذا بالقطة وتقول: ميو، ميو ريحة أذون فطوم. وعندما كشفوا الرأس وإذا بالأذن وفيها حلق فطوم فجلسوا يبكون على موت ابنتهم. وكملت وحملت وفي صبيع الصغير دملت.

**طويسة الصبر**: "صلوا على النبي، كان في هالمرة الغنية، في يوم من الأيام جاءها فقير يطر(يطلب عطاء) ففسخت (خلعت) جوتيها (حذاءها) الكعب وضربته على راسه، فدعا الله أن ينتقم منها، فرمى عليه الله علبة وسمه صوتا يقول له: اذهب بهذه العلبة إلى شيخة (أي اللي ضربته) وقال لها: هذه العلبة أمانة عندك لا تفتحيها. ثم أشار عليها جميع من في البيت بفتح العلبة لمعرفة ما فيها، ففتحت العلبة وطلع من العلبة سرو (أي دودة) وذهب إلى الحمام دون رؤيتها، وفي أثناء الغداء، سمعت شيخة صوتا يناديها: يا شيخة. أريد غدائي فوضعت له صحن الغداء فأكل الصحن بما فيه، وطلب عشاء وقدمت له العشاء فأكله مع الصحون وكذلك الفطور إلين جعلها فقيرة على خشية، ثم خيرها بين أن يأكلها وبين أن يرميها بين سبع وسبعين بلدا فقالت: إرميني، فلوح بها في الهواء ثم رماها على السمادة (مكان مرتفع لتجميع الأوساخ والقاذورات) فأكلت الطعام اللي على السمادة، وأتت مرة خادمة ترمي الأوساخ على السمادة، فسمعت صوتا يناديها يقول: (لا ترمين الخياس على السماد ناس) وراحت الخادمة وخبرت

سيدها بما جرى، فطلب السيد من الخادمة أن تحضر له شيخة، فتزوجها ثم حملت وانجبت له ولدا ثم سافر، وبعد فترة صاحوا في الفريج (الفريق) حريق، حريق، فخرج جميع الناس من البيوت ما عدا شيخة، جلست بالقرب من ابنها في البيت فجاءها الخادم الفقير اللي ضربته وقال لها: آكلك وإلا آكل ابنك؟ فقبلت أن يأكل ابنها، ولما حضر الناس صاحوا جميعا، لقد أكلت شيخة ابنها، أنها ساحرة. وحضر الزوج من السفر فأخبروه بما حصل، وان شيخة كلت (أكلت) ابنها وحملت مرة ثانية وأنجبت بنتا، وسافر الزوج، وفي نفس اليوم سمع الناس بأن مركبا قد غرق، وخرج الناس لمشاهدته ما عدا شيخة جلست عند بنتها، وجاء الفقير وقال لها: هل آكلك وإلا آكل بنتك؛ فقالت: كل بنتي، فأخذ البنت ووضع دما في فم الأم ويديها كما فعل في المرة الأولى، فجاء الناس وقالوا: أكلت الساحرة بنتها، وحضرالزوج فأخبروه بالي جرى، فطلق زوجته وتزوج بأخرى، وبعد أيام، أراد الزوج السفر، فبعث الخادمة إلى زوجته السابقة يسألها، وش تريد يحضر لها من سفره؟ فقالت: أريد طويسة الصبر، بينما طلبت زوجته الثانية، الذهب، كالعقود والحلق والأساور، وسافرالزوج وحصل على ما طلبته زوجته بعد أن تعب وايد في البحث عن طويسة الصبر ثم وجدها عند بائع وقال له: بأن زوجتك ستبكي عندما تعطيها هذه الطاسة، عندما تكبر بقدر حجم الإنسان. فذهب إلى بيته وأعطى زوجته السابقة طويسة الصبر، فأخذت تبكي وتقول: يا طويسة الصبر ما حد صبر صبري. وكلما قالت ذلك كبرت الطاسة إلين صارت بحجم شيخة، فجلست فيها وطارت الطويسة فتبعها الزوج، ولما حطت (نزلت) صب الزوج عليها يود ماء (وعاء من الجلد يصنع لحفظ الماء فيه) فلما صب الماء جاء الفقير ومعه الولد والبنت وكل واحد من الأولاد كان في يده مصحف وأخبر الفقير زوج شيخة بالقصة، وأنه دعا ربه أن ينتقم منها، ففهم الزوج القصة ورجع إلى زوجته وعاش عيشة هنية بالقرب من زوجته وأولاده.

وجيت من عندهم ولا عطوني شيء."

**لعيبة الصبر**: "كان هناك سلطان وعنده بنت، وكان يرسل بنته إلى المطوع. ويقول للمطوع: بنتنا يجب أن تأتي إليك قبل الناس، وتتركها (تهدها) قبل الناس.

وفي الطريق والبنت ذاهبة إلى المطوع سمعت صراخا في بيت المطوع، وقامت واختبأت وراء جحلة (الزير) وقامت ترى ما يحدث، رأته وهو يرمي بصبي في النار، وبعد أن شوى الولد أخذه وأكله، وبعد أن رأت ما رأت هربت إلى البيت، وعندما كانت تهم بالهرب، وقع أحد خلخاليها (حيول).

وأتى المطوع المطوع ليشرب ماء فرأى الخلخال، فعرف أن ابنة السلطان أتت إلى هنا، ورأت ما فعل بالصبي، فخاف المطوع.

وعندما ذهبت البنت إلى البيت، لم تتكلم. سأل أهلها المطوع عن البنت إذا ما أتته أم لا؟. فحاولوا في البنت أن تتكلم ولكن بلا فائدة، فخلوا المطوع كل يوم يأتي ويقرأ عليها القرآن، والمطوع عندما يختلي بالبنت يقول لها: إيش شفتي في مطوعك من عجب؟ فترد عليه وتقول: يقري الصبيان ويؤدبهم أدب.

وكان دائما كل يوم يسألها هذا السؤال، ليتأكد من أنها لن تقول شيئا عنه، وشار المطوع على أهلها بتزويجها لعلها ترجع إلى حالتها الطبيعية، فقام الأهل وسمعوا شور المطوع وزوجوها ابن عمها.

وبعد مجة حملت، وجابت ولدا، وبعد أن كبر الولد، أتى المطوع وباقه (سرقه) من أمه، وقام الأهل يبحثون عن الولد، وأتوا إلى أمه ووجدوها ملغمصة بالدم (لطخها بالدم) وسألوها عن ابنها ولكن لم تجب عليهم، وتأكدوا بأنها أكلت ابنها، وبعد فترة أيضا حملت وجابت ولدا، ووضعوا عليها رقابة، وغافلهم المطوع، وأتى وخطف الولد، ولغمصها بالدم وذهب. وأتوا وضربوها وأرادوها أن تخبرهم ولكنها لم تنطق، وتأكدوا بأنها أكلت الولد. ومرة ثالثة أيضا حملت وجابت ولدا وراقبوها، ولكن المطوع استطاع

أن يخطف الولد، وأتوا وسألوها وضربوها ولكنها لم تجب، ثم أشاروا على الأهل إلا يتركوا زوجها يعاشرها.

وفي ذات يوم عزم السلطان على السفر إلى الهند، وسألهم إذا كانوا يحتاجون إلى شيء، وقام كل واحد يوصيه على ما يريد، وقال السلطان: اسألوها إذا كانت تريد شيئا من الهند، فأوصتهم أن يأتي إليها بلعيبة الصبر، وسافر السلطان وبعد مدة رجع وأتى إليهم بالهدايا، واحضر للبنت لعيبة الصبر، فقامت البنت تسأل لعيبة الصبر، وتقول لها: يالعيبة الصبر، الصبر لي ولا لك؟

فترد لعيبة الصبر عليها وتقول: الصبر لك يابيبي الخدم والعبيدي.

أما ما كان من أمر المطوع فقد علّم الأولاد الصلاة والقرآن واحضرهم عند الفجر في يد كل منهم فنار وقرآن وألبسهم ثيابا جميلة وأعادهم إلى أمهم، وعندما أتى أهلها في الصباح رأوا الأولاد وسمعوا القرآن، وقاموا وسبحّوا البنت وباركوا لها بعودة أولادها، والشر لهم والخير لنا".

**نصيف:** "يانا وياكم الا خير لفانا وشر تعدانا وتعداكم، من له نبي يصلي عليه...الجميه، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، في وقت مضى عاش زوجان في سعادة وراحة بال ولكن يشغل بالهم عدم الخلف ولا خلوا سبيل يسر لهم في الإنجاب إلا وطرقوه، والنتيجة عدم الأولاد، ورضوا بقضاء الله عليهم، ولكن جدد أملهم بجية مطوع في بلادهم في يده البركة والخير، وذهبوا حق المطوع وشكوا له حالهم، رد عليهم إن شاء الله ما يصير إلا الخير، وقال تعالوا بعد أسبوع عندي وطلبوا مقضي، وبانتهاء الفترة جاءوا له وأعطى الزوجة سلة وقال: لا تكشفيها إلا بعد أن يمضي أسبوع، وقبل المدة المحددة بيوم كشفت الزوجة عن السلة وشافت اللي فيها، وكانت ثلاث قطع عجين وتعجبت منها وقالت في خاطرها: منظرها جميل وأخذت نصف القطعة الثالثة وأكلتها وبقي النصف الثاني وفي اليوم السابع وفي وقت الفجر سمعت أصوات بكاء

أطفال حديثي الولادة ومصدر الصوت من السلة، واتجهت صوب السلة واندهشت وانعقد لسانها من الخوف والفرحة شافت في السلة أطفالا، اثنين كاملين والثالث نصف وندمت على فعلها في الثالث لأنها أكلته قبل وهو عجين. وهذا جزاء فضولها ومرت السنون عليهم، الأب توفى وبقت الأم والأولاد الشباب الثلاثة وكانت تحب أولادها، والثالث ما تعتني به، والأكل الزين حق أولادها وهو لا، واستحمل (نصيف) وهذا هو اسمه كل المتاعب من أمه وأخواته وجيرانه وهو حزين في نفسه ولا يتكلم وحدث في بلادهم أمر رهيب والخبر يقول: أن بنت الحاكم خطفها غول جبار ولا أحد يقدر عليه وبكى الحاكم كثيرا وفوق هذا يزوجه بنته وتزاحم الشباب على باب القصر وكل واحد يروح ولا يرجع ومن ضمن الشباب اللي راحوا، ذهب الولد الأول حق الحاكم وقال له: إن شاء الله أنا باقتل الغول وبأرجع لك بنتك، وأمر الحاكم حق الولد بالخيل (فرس) والزاد والمال، وذهب الولد، وفي طريقه حق الغول شاف على بعد رجل كبير في السن وسأله، وسمع صوت الرجل وهو يقول له: تعال، ولدي لا تذهب أريد منك أن تسمعني قبل ما تقتل الغول، فرجع الولد له، وقال له إيش اتريد؟ قال: أول أريد منك بعض الزاد والماء وثاني شيء أبغي منك أن تفك لي هذه العقدة من الحبال، وإذا فككت العقدة ستقتل الغول. قال له الولد: أنا بقتله بدون العقدة وأعطاه الماء والزاد وأخذ الحبل وأراد أن يفكه ولكن ما قدر وقال الرجل: تعال ارجع، الغول يقتلك قبل ما تقتله وما سمع كلامه وراح عنه وما سمعوا عنه أهله شيئا واتبعه أخوانه الباقون واللي حصل مع الأول حصل مع الجميع، وأمهم من شدة الحزن عليهم أصبحت عمياء ومريضة، وبقي معها نصيف يخدمها طول الليل والنهار وقال نصيف: ليش ما أروح أنا صوب الحاكم. وذهب عند الحاكم وضحك الحاكم من شكل نصيف ورد عليه، وقال: الشجعان والشباب ما قدروا على الغول أنت يانصيف بتقدر عليه، روح يا نصيف ونشوف، ودع نصيف أهله وجيرانه وتوكل على الله ونفس ما حدث لأخوانه، وقال الرجل: هذا الحبل فكه، إذا

تقدر، وسمى نصيف بسم الله على الحبل، وبكل قوة وصبر وبعد جهد كبير فك الحبل وبعد مسافة شاف الرجل المسن ومعه ثورين وقرونهم معقودة مع بعض، وطلب منه أن يفكهم وفعل وفكهم بعد تعب شديد ومسك الرجل المسن نصيف وقال له: إن شاء الله أنت تقتل الغول ودله على الطريق ودعا الله بالتوفيق وسار في الطريق اللي رسمه له الرجل، وبعد مسير ثلاثة أيام وصل وشاف القصر مبني على جبل مرتفع، وقال في نفسه: كيف الطريقة اللي باوصل للقصر وبعد جهد تسلق الجبل وترك الخيل تحت الجبل وسمع من قريب صوت غناء مصحوب ببكاء مؤثر، وهمس حق الصوت أنت جن وإلا أنس؟ ردت عليه البنت أنا بنت الحاكم اللي خطفني الغول، تعال وأنا بادلك على الدخول، وقال لها: الغول موجود عندك قالت: لا، راح يصطاد له بعض الحيوانات للأكل ولا يرجع إلا وقت الليل، ودخل نصيف عند بنت الحاكم، وقالت له: اللي قبلك ما قدر على الدخول لأنه موجود في القصر، وأنت إن شاء الله بتقتله وأنا بادلك على طريقة قتله، شوف أول ما يوصل اختبئ تحت البصل لأنه ما يشم رائحة الإنسان من البصل، وانقضى النهار وأقبل الليل، وقبل ما يرجع الغول دخلت غرفة الغول، وقالت له: اختبئ تحت السرير وإذا شفت عيونه مبطلة (مفتوحة) فهو نايم وإذا شفت عيونه مبندة فهو يشوف ودعت له بالتوفيق، واختبأ تحت السرير واقبل الغول نحو السرير ونام فيه من شدة التعب وظهر وشاف عيونه مفتوحة وأخذ السيف وطعن بطن الغول وخر صريعا يتخبط في الدم وبعد مدة شهق شهقة قوية ومات، وانتهى شره وأخذ النصيف بنت الحاكم والغنايم اللي في القصر، ورجع صوب البلاد وفرح الحاكم بعودة ابنته وتزوج نصيف بنت الحاكم وعمت الفرحة كل البلاد. ورحنا عنهم وبينا حتى خاتم مكسور ما عطونا".

**الهوامش والإحالات:**

[1]. سورة الحجرات، الآية 12.

[2]. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البخلاء (القاهرة: دار المعارف، د. ت)، ص234.

[3]. نفسه، ص 235.

[4] . نفسه، ص 236.

[5]. نفسه، ص 236.

[6] . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان (القاهرة: مكتبة مصطفى الحلبي، 1965)، ج1، ص177.

[7] . الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء (القاهرة: مطبعة الهلال، 1902)، ص723.

[8]. الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2002)، ج5، ص356.

[9]. نفسه، ج5، ص357.

[10] . نفسه، ج5، ص356- 359.

[11]. عبد اللطيف البغدادي، رحلة اللطيف البغدادي في مصر (القاهرة: الهيئة العامة، 1998)، ص373.

[12] . نفسه، ص132.

[13] . نفسه، ص132.

[14]. نفسه، ص132.

[15]. نفسه، ص133.

[16] . نفسه، ص133.

[17]. تقي الدين المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا (القاهرة: الأوقاف، 1996)، ص98.

[18]. انظر: نفسه، ص298.

[19] . نفسه، ص105 – 106.

[20] . نفسه، ص297.

[21] . ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور (القاهرة: الهيئة المصرية العامة، 1983) ج 1، ص216.

[22]. نفسه، ج 1، ص217.

[23] . نفسه، ج 1، ص217.

[24] . ابن بطوطة، تحفة النظّار في غرائب الأمصار (بيروت: إحياء العلوم، 1987)، ص706.

[25]. أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب (بيروت: دار الفارابي، 1998)، ص63.

[26] . نفسه، ص63- 64.

[27]. نفسه، ص64.

[28] . انظر: ألف ليلة وليلة (بيروت: المكتبة الثقافية، 1979)، ج3، ص158.

[29] . عبد الفتاح كيليطو، الأدب والغرابة (الدار البيضاء: دار توبقال، 2006)، ص112.

[30]. نورة محمد فرج الخنجي، القبح في الرواية العربية المعاصرة (إربد: جامعة اليرموك، 2009)، ص24.

[31] . ماريا تير ميتلن، اثنتا عشرة سنة من الاستعباد (ميلانو: منشورات المتوسط، 2018)، ص89.

[32]. عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد (الإسكندرية: دار المصري، 2011) ص74.

[33]. نفسه، ص74.

[34] . نظرًا لندرة كتاب (القصص الشعبي في قطر) فقد أدرجت هذه الحكايات في ملحق هذا البحث.

[35] . رامي أبو شهاب، بنية الحكاية الشعبية القطرية (الدوحة: وزارة الثقافة، 2015)، ص78.

[36] . انظر: شاكر عبد الحميد، الخيال: من الكهف إلى الواقع الافتراضي (الكويت: 2009) ص193.

[37] . نفسه، ص58.

[38] . نفسه، ص79.

[39] . نفسه، ص227.

[40]. الأخوان غريم، حكايات الأخوين غريم (بغداد: دار المدى، 2016)، ص237- 238.

[41]. نفسه، ص848.

[42] . غسان الحسن، الحكاية الخرافية في ضفتي الأردن (دمشق: دار الجليل، 1988)، ص189.

[43] . انظر: تزفتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي (الرباط: دار الكلام 1993)، ص129 – 130.

[44] . الأخوان غريم، 2016، ص97.

[45] . انظر: فلاديمير بروب، مورفولجيا القصة (دمشق: شراع للدراسات، 1996)، ص29.

[46] . انظر: نورة محمد فرج، مزاج دافنشي (بغداد: دار العالي، 2020)، ص69.

[47] . الأخوان غريم، 2016، ص213.

[48] . كمال الدين حسين، دراسات في الأدب الشعبي (الدار البيضاء: المركز الثقافي، 2000)، ص216.

[49] . سعد الصويان، الصحراء العربية: ثقافتها وشعرها (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث، 2010)، ص417.

[50]. سهير القلماوي، الأدب الشعبي بين المحلية والعالمية (القاهرة: الهيئة المصرية، 2015)، ص32.